المملكة المغربية وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين الدارالبيضاء الكبرى	امتحان السنة الأولى شهادة التقني العالي دورة ماي 2009	التخصص - جميع التخصصات المادة : اللغة العربية المدة : ساعتان المعامل : 10

هل يمكن التواصل بعامية فصيحة؟

1 - منذ أكثر من نصف قرن، عرف المشرق العربي (خصوصا في مصر والشام) مساجلات حول ما يمكن تسميته بصراع الفصحى والعاميات، ساهم فيها كُتاب، منهم طه حسين وساطع الحصري وكمال يوسف الحاج، وغيرهم. وكان محور تلك المساجلات يقوم على دعوتين متعارضتين»: واحدة إلى اجتثاث العاميات والقضاء عليها لفائدة تجذر الفصحى وإشعاعها، والدعوة الأخرى هي إلى إحلال العاميات محل العربية الفصيحة، ليس في التدريس فحسب وإنما أيضا في شتى أنواع الكتابات الأدبية، إلخ. وهذه الدعوة الثانية (التي ساندها إلى حد ما طه حسين قبل اضطلاعه بمسؤولية التعليم وتلقيبه بعميد الأدب العربي) قد فقدت مع الوقت جذوتها وحُماتها، وكادت تصير نسيا منسيا. وكذلك إلى المصير نفسه آل أصحاب الدعوة الأولى، كما تدل عليه المعاينة والتجربة .

إن فشل الفريقين معا كان في الأصل بسبب تضخيمهم للفوارق بين الفصحى والعاميات وتمثلهم لها كمعطى بنيوي لا سبيل إلى تجاوزه أو حتى تليينه وتقليصه. ولعل أول علامة على تصدع هذا التمثل والطرح هو إقدام الأكاديميات العربية في مؤتمرها الأول (1956، دمشق) على استصدار توصية بضرورة فحص الكلمات العامية، العربية الأصل، والتي يمكن للغة الحديثة مَعْجمتها ونشرها. وبعد ذلك كثرت، كما نعلم، الدعوات إلى الفصحى الوسطى والعربية الميسرة أو الجديدة-néo arabe واللغة المستحسنة، كما يسميها المعجمي المغربي أحمد الأخضر غزال. وهذه اللغة هي اليوم اللغة السيارة في الإعلام والتدريس، ولو أن البعض ما زالوا يلجون، عن تهافت وجهل، في تسميتها بالعربية الكلاسيكية؛ وهي عند المتعلم، من حيث الغرافيا والمقروئية، أيسر بكثير من العامية حين تكتب بأي وجه كان، أي عرية من الشكل والضبط وسائبة من ناحية القواعد النحوية والصرفية .

2- أما في بعض بلدان المغرب (خصوصا الأقصى والأوسط)، فإننا نرى بين الفينة والأخرى نفرا من الصحافيين واللهجويين يعودون إلى الكلام في الموضوع ذاته، لا يهمهم في طرحه التاريخ كخزان تجارب وعبر، ولا منطوقات الدساتير، ولا إعمال مناهج البحث المتزن الرصين. وحتى كتابنا الفرنكفون انساقوا وراء تيار اللامعرفة، للإسهام في الإجهاز على لغة الضاد بدعوى أنها لغة المهزومين (كما يصرح بعضهم علنا) أو للخلوص إلى القول بأن "الدارجة " هي "لغتهم الأم"، مع أن لا أحدَ منهم يكتب بها؛ وهذا كله يجهر به هؤلاء وأولئك في المقالات والاعلام السمعي البصري، كما لو أنه لا توجد دراسات ومعاجم كثيرة تبرهن بالدليل المادي على صلات القرابة الكثيرة، والمجهولة عموما، بين طبقتي العربية، الفصيحة والدارجة، أو كما لو أن الفرنسيين مثلاً في حياتهم اليومية يتكلمون لغة موليير وفولتير أو ليست لهم لهجاتهم العامية ولغاتهم الإقليمية (الكورسيكية والبروتونية والألزاسية والباسكية..).

إن الدليل المادي الأبلغ والأدمغ على بطلان أقاويل "المدرجين"، النزاعين إلى سلخ العاميات عن جذورها اللغوية المشتركة، المتمثلة في لغة الضاد كلغة وسطى، ليقوم بالذات في صنف من الأبحاث ينضوي في فلك المعجمية، كما عرفها ومارسها العرب قديما، منذ أواخر القرن الثالث الهجري، أي كانشغال باللغة يقضي بجمع مادة مفرداتها وبعرضها مرتبة على هذا النحو أو ذاك، بحسب مخارج الحروف أو أواخر الكلمات أو بحسب الأصول والاشتقاقات أو بالترتيب الألفبائي... أما الأبحاث المشار إليها فإن مدار موضوعها هو الدارجة الفصيحة، تستقي موادها من المعجمية المقارنة، إذ تتمثل في العملية الترتيبية نفسها كلا من العربية الفصحى، كإطار مرجعي عام، وإحدى العاميات المتداولة كوجه من وجود اللغة بالفعل، حسب تعبير الخليل بن أحمد، أو كحقل تداولي جمهري (من الجمهرة) تنطبع فيه الفصحى وتنجز إحدى أهم قدراتها الاستعمالية المعبرة .ولعل العامية المغربية في هذا المنحى بالذات تتسم بأنموذجية معتبرة، وذلك لكون المغرب، كما نعلم تاريخيا، ظل مستقلا عن الباب العالي العثماني، ومن قبله عن التأثيرات الفارسية والرومانية، التي كانت بلاد الشام مرتعها الخصيب. أضف إلى هذا ما ذكره دارسون كثيرون، من أن الاندلسيين النازحين إلى المغرب كانت لهم لهجة أقرب إلى الفصحى وإلى لهجات الحجاز واليمن .

3- إن كل الأبحاث المعجمية، مع تفاوت سعتها وتقنياتها، لهي حقا مساهمات عملية في محاولات تضييق الشقة بين الفصحى والعاميات الرئيسية، وبالتالي تقريب الشفوي من المكتوب، وذلك بدل البكاء على جرح الازدواج اللسني (diglossie) وانفصام الشخصية والوعي القومي، إلخ. وفي هذا الاتجاه أسهم باحثون مشارقة بأعمال مهمة، ولو أنها متفاوتة السعة

والجدة : منهم عمر الدسوقي والشيخ أحمد رضا وأحمد أبو سعيد، وغيرهم .

وقوفا عند أنموذج الدارجة المغربية، هناك محاولات معجمية سعى أصحابها قدر جهدهم إلى جرد الألفاظ المشتركة بين الدارجة تلك والعربية الفصحى، كما فعل الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي أصدر في الموضوع نفسه نصين، أولهما في عام 1964 وعنوانه: الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية (وهو مطبوع على الآلة الكاتبة)، وثانيهما في عام 1972 يحتوي على الموضوع الأول ويطوره، واسمه: نحو تفصيح العامية في الوطن العربي. إن عمل د.بنعبد الله، وإن اقتصر على أسلوب التمثيل بالعينات (أهمها من دارجة الرباط وقبائل زعير) لكاف وحده لإعطاء الدليل المادي على فساد أطروحة لويس برونو في كتابه «مدخل إلى العربية المغربية»، القائلة بأن العامية المغربية مستقلة عن العربية الفصحى .. أما مهمة تقويم وتهذيب الألفاظ العامية في ضوء الاستعمالات الفصيحة، فهي موكولة أساساً إلى العمل التعليمي والبيداغوجي في جميع مراحله وأطواره؛ ذلك أن هدف معاجمها (ما أنجز منها وما سينجز) هو جعل تلك الألفاظ متداولة بين أيدي التلاميذ وحتى المعلمين من أجل توعيتهم بتعلم مايعلمونه ويحفظونه في ذاكرتهم اللغوية المكتسبة في البيت والشارع، أي قبل سن المدرسة والتمكن من اللغة الفصيحة .

بنسالم حميش - مجلة العربي – العدد : 598 السنة : 2008 - ص : 96 – 99 [بتصرف]

1 – اشرح الكلمات التالية : مساجلات - ساندها - جذوتها – الإجهاز. (2 ن) .

2 – حدد الفكرة الأساسية لكل فقرة (3 ن) .

3- ما المقصود بعبارة " إن الفرنسيين مثلاً في حياتهم اليومية يتكلمون لغة موليير وفولتير أو ليست لهم لهجاتهم العامية ولغاتهم الإقليمية (الكورسيكية والبروتونية والألزاسية والباسكية..) ؟. "(2 ن).

4 – ما العناصر التي يهملها اللهجويون عندما يدعون إلى إقصاء اللغة الفصحى من التواصل . (3 ن)

5 – التعبير والإنشـــــــاء (10 ن): " حياة اللغة متوقفة على تقدير أهلها ، وحرصهم على التواصل بها في جميع المجالات الدينية والعلمية والفنية ؛ بينما تموت اللغة إذا وجدت جيلا لا يرى فيها سوى ذكريات وقيود الماضي . " .

- حلل هذا القول مبرزا الوضع الحالي للغة العربية ، مدعما وجهة نظرك بأمثلة وشواهد مناسبة .